دراسة نقدية لأهم الأصول والمصادر والمراجع للنقوش العربية فى الهند

بقلم : الأستاذ الدكتور محمد يوسف صديق
جامعة هارفارد — أمريكا

ان دارس الحضارة و الفنون الاسلامية فى الهند قد يدهش لكثرة عدد النقوش الاسلامية التى تركها السلاطين والحكام المسلمون فى هذه البلاد والتى تدل على النهضة الحضارية الاسلامية التى عمت البلاد بعد دخول المسلمين فى شبه القارة الهندية . و الذى نعلم أن معظم سلاطين و حكام المسلمين فى الهند كانوا على درجة كبيرة من الثقافة و العلوم ويتضح ذلك من مذكرات بعض هؤلاء الأباطرة المغول التى لاتزال تعتبر مصدرا هاما من مصادر تاريخ عصرهم .

ونعرف من هذه المذكرات أن هؤلاء السلاطين كانوا على دراية بالحضارة الهندية من جوانبها المختلفة . فتناولوها بدقة و وصفوها بالتفصيل فى مذكراتهم . كذلك ذكروا أيضا الانجازات الحضارية التى تمت على أيديهم فى تلك الفترة . فنجد مثلا أن جهانگير يذكر فى مذكراته كيف تم انشاء نقش تذكارى فى أحد بساتين أحمدآباد فى منطقة گجرات خلال سفره إليها . فيقول انه كان خلال سفره فى هذه المنطقة يستريح فى أحد البساتين فى نواحى أحمدآباد اذ وقع نظره

على فراغ كبير فى ساق شجرة كبيرة وقديمة ، الأمر الذى لم يرتضه لمنظر جميل يحيط به ، فأمر أن يملأ هذا الفراغ بلوحة كتابية جميلة تتضمن أبياتا فارسية نظم أول بيتها بنفسه بهذه المناسبة(١) .

ونجد أن بعض المصادر التاريخية قد تذكر بعض اللوحات و النقوش الكتابية فى العمائر التى شيدت على مر الايام ، ولكنها لم تحظ بدراسة علمية . والحق أن دراسة النقوش بطريقة علمية لم تبدأ فى الهند الا فى عصر متأخر عند ما بدأ العلماء والمؤرخون يقدرون أهمية هذه النقوش فى دراسة تاريخ وحضارة هذه البلاد . ولكن للأسف الشديد ضاع وتلف الكثير من هذه النقوش بسبب الحروب والاهمال وأحداث الزمن . ولا بد أن نشير الى جهود العلماء والباحثين البريطانيين الذين لهم الفضل الكبير فى التنبيه إلى أهمية النقوش كمصدر تاريخى . ومما تجدر به الاشارة أن الجهود العلمية حول دراسة النقوش بدأت فى بداية الأمر فى البنغال بعد أن تأسست الجمعية الآسيوية للبنغال فى كلكتا فى عام ١٧٨٤ م . وكان من أهم أهداف انشاء هذه الجمعية اعداد بعض العلماء والخبراء البريطانيين ليتخصصوا فى شتى مجالات العلوم الهندية حتى يتمكنوا من فهم طبيعة الشعب الهندى وحضارته وتاريخه ولكى يسهل لهم فرض حكمهم عليهم . غير أنه مهما كان الهدف من وراء انشاء هذه الجمعيات العلمية ، فانها قدمت خدمات كبيرة فى مجال البحث العلمى ، كما أنها قامت بدور كبير فى لفت انتباه العلماء

(١) تزک جهانگیری : نقلها الى اللغة الأردية مولوى احمد على رامبورى ، وراجعها جميل الدين احمد (لاهور ، سنغ ميل پبليكيشنز) الطبعة الخامسة ، ص ٢٨٣ . وتجدر الاشارة هنا الى أن الباحث قد نجح فى العثور على هذا النقش فى مستودع المتحف البريطانى .

المحليين الى دراسة التراث الوطنى[١].

ومن أوائل علماء المسلمين فى البنغال الذين حاولوا دراسة النقوش العربية بطريقة علميـة والاستفادة منها من الناحية التاريخية (سيد غلام حسين) الذى توفى سنة ١٨١٧ م. ويعتبر كتابه (رياض السلاطين) من أوائل كتب التاريخ الاسلامى فى البنغال. وزار الكثير من المناطق التاريخية فى البنغال، وعاش فى المدن الأثرية مثل (غور) و (پندوه). وقام بدراسة الكثير من النقوش العربية التى وجدها فى هذه المدن. وضمن كتابه الكثير من المعلومات المستمدة منها[٢]. ثم اتبع (منشى الهى بخش[٣]) خطة سلفه (غلام حسين) فى دراسة النقوش العربية فى البنغال، واستقى منها معلومات هامة أيضا ضمنها فى مخطوطته (خورشيد جهان نما). وجدير بالذكر أن كلا البحثين كتبا باللغة الفارسية.

ومن أهم المصادر فى دراسة النقوش العربية فى الهند كتاب (آثار الصناديد) الذى ألفه سيد أحمد خان فى سنة ١٨٤٦ م[٤]. وكان من هواياته

(١) عبد الكريم: تاريخ البنغال فى عهـد السلاطين (باللغة البنغالية) الأكاديمية البنغالية ١٩٧٧ م ص ٢٤، ٢٩.

(٢) قامت الجمعية الآسيوية للبنغال بطبع هذا الكتاب فى سنة ١٨٩٨ م.

(٣) ولد هذا المؤرخ عام ١٢٤٠ هـ / ١٨٢٤ م فى مقاطعة مالده بجوار مدينة غور فى البنغال.

(٤) ولد هـذا العالم فى دلهى سنة ١٨١٨ م وبدأ حياتـه العلمية فى زمن بهادر شاه الثانى آخر أباطرة المغول فى الهند. وكان يشتغل بالقضاء. وقد عاصر الأحداث الداميـة التى وقعت عام ١٨٥٧ م نتيجة حركة الاستقلال بين الشعب الهندى، وبعـد فشل هـذه الثورة التى أدت الى نفى آخر أباطرة المغول خارج الهنـد، بدأ يسود المجتمع الاسلامى الهندى اليأس والتدهور الذى أثار مشاعر سيد أحمـد =

زيارة الأماكن الأثرية فى مدينتى دلهى وآكره وما حولهما . وأدت هذه الهواية إلى فكرة تأليف كتاب حول هذه الأماكن . وهذا الكتاب «آثار الصناديد[١]» يصف وصفا دقيقا المساجد و المدارس و القصور و القلاع و المبانى و المنشآت الأثرية الأخرى التى زارها سيد أحمد خان . ويتضمن هذا الكتاب أيضا بيانا عن جميع النقوش و نصوصها التى قرأها فى تلك المنشآت الأثرية . وللأسف الشديد ، كثير من هذه النقوش التى ذكرها سيد أحمد خان قد تلفت واندثرت .

ومن أوائل الباحثين البريطانيين فى هذا المجال Henry Creighton الذى عاش فى مقاطعة مالده فى البنغال من عام ١٧٨٦ — ١٨٠٧ م . وكان يعمل مشرفا على مصنع صبغة النيل فى قرية (غومالتى) بجوار المدينة الأثرية (غور). فانتهز هذه الفرصة بزيارة العمائر الاسلامية القديمة فى هذه المناطق . وشاهد الكثير من النقوش العربية خلال هذه الجولات العلمية التى ذكرها فى كتابه : The Ruins of Gaur.[٢] ويمتاز هذا الكتاب برسوم رائعة للعمائر الأثرية التى رسمها بنفسه .

وفى بداية القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى قام William Franklin بزيارة الأماكن الأثرية فى البنغال و سجل نقوشها فى مخطوطتين :

= خان . فدعا مسلمى الهند الى النهضة العلمية ، وأسس جامعة عليكره لتخريج الطلاب المسلمين حتى يسهل لهم الحصول على المناصب الحكومية . و لا زالت هذه الجامعة تعتبر من أشهر جامعات الهند .

(١) دلهى ، مطبع سلطانى ، ١٢٧٠ ه / ١٨٥٤ م .

(٢) (London: Black and Parbury and Allen, 1817)

Journal of a route from Raj Mahal to Gaur و (Ruins of Gaur)[١] . وعلى الرغم من أن فرنكلين كان موظفـا فى الجيش ، الا أنه كانت لديـه هواية حب الآثار و التذوق بالفنون الجميلة . ويبدو أنه كان يعرف اللغة العربية والفارسية . وقد أشار فى مخطوطتيه أيضا الى بعض المخطوطات الثمينة وبعض النقوش العربية . كا أنه نقل فى حوزتة الخاصة بعض هذه النقوش ، ثم أهدى بعضها الى المتحف البريطانى بلندن ، ولا زالت تحمل اسمه فى المتحف .

ويجب أن نذكر هنا أيضا أن عالما هندوسيا منشى شيام برشاد كان مرافقا للرائد فرنكلين خلال زيارته للأماكن الأثرية فى البنغال ، وكان يجيد اللغة العربية والفارسية ، وقـد أعد منشى شيام برشاد تقريرا باللغة الفارسية عن العاصمتين القديمتين (غورو بندوه) ونقوشهما بناء على طلب فرنكلين[٢] . وعلى الرغم من أنه أخطأ فى قراءة نصوص بعض النقوش ، الا ان هذا التقرير لا يزال يعتبر من أهم مصادر دراسة النقوش العربية فى شرق الهند خاصة منطقة البنغال . وخلال هذه الفترة ، تناول هذا الموضوع أيضا Orme فى مخطوط وجيز Ruins of Gaur[٣] وتشتمل هـذه المخطوطة على وصف مدينة غور ونقوشها . ومن أهم المصادر فى هـذه الفترة كتاب Gaur : Its Ruins and Inscription الذى ألفه

---

(١) لاتزال هاتان المخطوطتان محفوظتين فى مكتبة المكتب الهندى Indian Office Library برقم (١٩) و (٢٨٤١) فى لندن .

(٢) هـذه المخطوطة الفارسيـة (أحوال غورو بندوه) محفوظة الآن فى مكتبة المكتب الهندى بلندن برقم (٢٨٤١) .

(٣) وهى محفوظة فى مكتبة المكتب الهندى بلندن برقم (٢٥ : ٦٥) .

J. H. Ravenshaw[1] حيث أنه يحتوى على بيان مفصل عن نقوش هذه المنطقة. وفى نهاية القرن الثالث عشر الهجرى (بداية القرن العشرين الميلادى) كتب فى هذا الموضوع أيضا سيد عابد على خان كتابا : Memoirs of Gaur and Pandua وقد تناول أيضا فى هذا الكتاب تاريخ هاتين العاصمتين وعمائرهما ونقوشهما الكتابية على نمط الأبحاث السابقة.

وكان لانشاء ادارة خاصة لدراسة الآثار و مسحها فى الهند (Departmen of the Archaeological Survey of India). فى سنة ١٨٦٤ م أثر كبير فى تطور دراسة النقوش العربية فى شبه القارة الهندية اذ أن هذه الادارة قامت بالبحث عن النقوش القديمة الأثرية فى جميع أنحاء الهند ، وحفظت لنا الكثير منها فى المتاحف أوفى موقعها الأصلى . ولا بد أن نذكر هنا خدمات Sir Alexander Cunninghum فى هـــذا المجال الذى كان مديرا عاما لهذه الادارة فى النصف الأخير من القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى. وهو الذى دون الموسوعة الأثرية الشهيرة : (Archaeological Survey of India : Reports) التى تناول فيها الكثير من النقوش العربية الاسلامية.

وفى نفس الفترة قام بدراسة نقوش شرق الهند Sir Henry Blochmann الذى كان مديرا للمدرسة العاليـــة بكلكتا[2]. وكانت له صلات قوية مع ادارة الآثار التى كانت تحتفظ بالعديد من نسخ النقوش العربية والتى كانت تجمعها من

---

(١) (London : 1878).

(٢) أسس هذه المدرسة المستعمرون البريطانيون على أساس تعليم العلوم الاسلامية مع العلوم الأخرى لأبناء المسلمين فى الهند ، ولا زالت هذه المدرسة موجودة فى كلكتا ، وانتشرت مثل هذه المدارس فى مختلف مدن البنغال وبهار بمرور الزمن.

مختلف الأماكن فى أنحاء الهند . و قد قام بلوكمان بكتابة مقالات علمية عن هذه النقوش فى مجلة الجمعية الآسيوية للبنغال Journal of Asiatic Society of Bengal التى كانت تصدر فى كلكتا . والحق أن خدمات هـــذا العالم الكبير فى هـــذا المجال لا تقـــدر بأى ثمن حيث إنه وضع منهجـــا علميا سليما لدراسة النقوش العربية فى الهند .

وفى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى بدأ المشرفون على ادارة الآثار فى الهند يدركـون أهمية انشاء قسم خاص لدراسة النقوش وكذلك اصدار مجلة خاصة لدراستها . ونتيجـة لذلك صدر أول عـدد من مجلة Epigraphia Indica فى سنة ١٨٩٢ م . وفى العدد الثانى من هـــذه المجلة قام الدكتور بول هورن Dr. Paul Horn بدراسة الكثير من النقوش العربية فى الهند . غير أن مجلة Epigraphia Indica لم تكن مخصصة لنشر أبحاث النقوش الاسلاميـة فقط ، بل كانت أيضا تنشر أبحاثا فى اللغات الهنديـة القديمة مثل اللغة السنسكريتية . لذلك قرر مسئولو هذه المجلة اصدار عدد خاص للنقوش العربيـة يشمل دراسة جميع النقوش الاسلامية فى الهند . وقد صدر أول عدد منها فى عام ١٩٠٧–١٩٠٨م تحت اشراف Sir Denison Ross الذى كان رئيسا لتحريرها . و سمى هذا العدد الخاص بالنقوش الاسلامية فى السنوات التالية باسم Epigraphia Indo-Moslemica و عنـد ما أصبح Dr. J. Horvitz رئيسا لتحريرها ، صدر تحت اشرافه عدد ان من هذه المجلة فى الفترة ما بين ١٩٠٩ – ١٩١٢ ، كما أنه قام بعمل قائمة لجميع النقوش الاسلاميـــة فى الهنـــد التى بحثت و نشرت حتى هـــذا التاريخ باسم

التى نشرت فى العدد المخصص لعامى List of Published Mohammadan[1] Ins. ١١–١٩١٢م . وبعد هذه الفترة عين الدكتور غلام يزدانى[٢] رئيسا لتحرير هذه المجلة . وأصدر خمسة عشر عددا منها الى أن بدأت الحرب العالمية الأولى فتوقف عن اصدارها . و بعد استقلال الهند فى سنة ١٩٤٧م استونف اصدار هذه المجلة وسميت باسم جديد وهو : (Epigraphia Indica-Arabic and Persian Suplement).

و يعتبر الدكتور ضياء الدين ديسائى من أشهر الباحثين فى وقتنا الحاضر حيث كتب كثيرا حول النقوش الاسلامية فى المجلة المذكورة التى صدرت فى أبان رئاسة تحريره فى الفترة ما بين ١٩٥٣ – ١٩٨٣م . كما أنه كان يراس فى هذه الفترة فرع النقوش العربية و الفارسية بإدارة الآثار الهندية . و تجدر الاشارة هنا الى أن هذا الفرع من مهامه جمع المعلومات والاحصائيات عن النقوش الاسلامية فى الهند . كما انه يقوم بمسح جميع النقوش العربية و الفارسية ودراستها فى المجلة المذكورة التى لا زالت تصدر سنويا وتعتبر من أهم المراجع

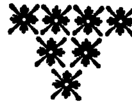
(١) و هو تعبير خاطئ للمستشرقين حيث يسمون ديننا الحنيف بتسمية شخصية بل التعبير الصحيح الدقيق هو « اسلامى » .

(٢) يعتبر الدكتور غلام يزدانى من العلماء الكبار فى مجال دراسة الفنون الاسلامية وآثارها . وكان مدير الآثار لدولة نظام فى حيدرآباد فى جنوب الهند فى النصف الأول من القرن العشرين الميلادى . وفى نفس الوقت كان يشتغل مساعدا لادارة الآثار الهندية كمسئول عن النقوش الاسلامية فى الهند . وله مقالات قيمة فى هذا الموضوع .

فى هذا الموضوع[١].

وفضلا عن ذلك، هناك بعض المصادر التى لها صلــة بموضوع النقوش الاسلاميـــة فى الهند، ففى مجال النقوش الاسلامية فى البنغال يوجد كتاب: Inscription of Bengal, Volume IV (Rajshahi : 1960) ألفه مولوى شمس الدين أحد الرواد فى هذا الميدان. ويجب أن نذكر أيضا كتاب: Corpus of Arabic & Persian Inscriptions of Bihar (Patna : 1973) الذى قام بتأليفـــه الدكتور قيام الدين أحمد، أستاذ التاريخ بجامعة بتنا والذى تناول فيه النقوش الاسلامية التى عثر عليها فى ولاية بهار.

وعلى الرغم من أهمية جميع هذه الدراسات للنقوش الاسلامية فى الهنـــد التى أشرنا اليها، فاننا لا نستطيع أن نقول انها دراسات كاملة وتامـــة، حيث لا تزال هناك أعداد كبيرة من النقوش التى لم تشملها الدراسات السابقة كما أن معظم هذه الدراسات لم تبحث جميع الجوانب الفنية والتاريخية لهذه النقوش ◎



(١) قام الباحث بزيارة قسم النقوش الاسلاميـة فى ادارة الآثار بالهند خلال رحلته العلمية ويشكر للقائمين على هذه الادارة لما قدموه من مساعدة كريمة.